تفسير ابن كثير

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ^{قُلْ} أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ^{قُلْ} إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ

خبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان ، وبما أنزل على

محمد ، مع ما هم يؤمنون به من الكتب المتقدمة ، وأنهم خاشعون لله ، أي : مطيعون

له خاضعون متذللون بين يديه ، (لا يشترون آيات الله ثمنا قليلا) أي : لا يكتمون

بأيديهم من البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة

أمته ، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم ، سواء كانوا هودا أو نصارى . وقد قال

تعالى في سورة القصص : (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم

قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما

صبروا) الآية [القصص : 52 - 54] ، وقال تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق

تلاوته أولئك يؤمنون به) الآية [البقرة : 121] ، وقال : (ومن قوم موسى أمة يهدون

بالحق وبه يعدلون) [الأعراف : 159] ، وقال تعالى : (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة

قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) [آل عمران : 113] ، وقال تعالى : (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا .) [الإسراء : 107 - 109] ، وهذه الصفات توجد في اليهود ، ولكن قليلا كما وجد في عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود ولم يبلغوا عشرة أنفس ، وأما النصارى فكثير منهم مهتدون وينقادون للحق ، كما قال تعالى : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى] ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين . [فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) الآية] [المائدة : 82 - 85] ، وهكذا قال هاهنا : (أولئك لهم أجرهم عند ربهم [إن الله سريع الحساب]) الآية . وقد ثبت في الحديث أن جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، لما

قرأ سورة (كهيعص) بحضرة النجاشي ملك الحبشة ، وعنده البطارقة والقساوسة بكى
وبكوا معه ، حتى أخضبوا لحاهم . وثبت في الصحيحين أن النجاشي لما مات نعاه النبي
صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، وقال : " إن أبا لكم بالحبشة قد مات فصلوا عليه " .
فخرج [بهم] إلى الصحراء ، فصفهم ، وصلى عليه . وروى ابن أبي حاتم والحافظ أبو بكر
بن مردويه من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : لما توفي
النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استغفروا لأخيكم . فقال بعض الناس :
يأمرنا أن نستغفر لعلي مات بأرض الحبشة . فنزلت : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن
بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين الله) الآية . ورواه عبد بن حميد وابن أبي
حاتم من طريق أخرى عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن الحسن عن النبي صلى الله
عليه وسلم . ثم رواه ابن مردويه [أيضا] من طرق عن حميد ، عن أنس بن مالك نحو ما
تقدم . ورواه أيضا ابن جرير من حديث أبي بكر الهذلي ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب
، عن جابر قال : قال [لنا] رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشي : " إن
أخاكم أوصحمة قد مات " . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلي كما يصلي على

الجناز فكبر عليه أربعا ، فقال المنافقون : يصلي على عرج مات بأرض الحبشة : فأنزل
الله [عز وجل] (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله [وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم
خاشعين الله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع
الحساب]) . وقد روى الحافظ أبو عبد الله الحاكم في مستدركه أنبأنا أبو العباس السيارى
بمرو ، حدثنا عبد الله بن علي الغزال ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، حدثنا ابن
المبارك ، أنبأنا مصعب بن ثابت ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه قال : نزل
بالنجاشي عدو من أرضهم ، فجاءه المهاجرون فقالوا : نحب أن نخرج إليهم حتى نقاتل
معك ، وترى جرأتنا ، ونجزيك بما صنعت بنا . فقال : لا دواء بنصرة الله عز وجل خير
من دواء بنصرة الناس . قال : وفيه نزلت : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل
إليكم وما أنزل إليهم خاشعين الله) الآية ، ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم
يخرجاه . وقال أبو داود : حدثنا محمد بن عمرو الرازي ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن
محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة ، رضي الله عنها ،
قالت : لما مات النجاشي كنا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور . وقال ابن أبي نجيح ،

عن مجاهد : (وإن من أهل الكتاب) يعني مسلمة أهل الكتاب .وقال عباد بن منصور :
سألت الحسن البصري عن قوله تعالى : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل
إليكم وما أنزل إليهم خاشعين الله) الآية . قال : هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد
صلى الله عليه وسلم ، فاتبعوه وعرفوا الإسلام ، فأعطاهم الله تعالى أجر اثنين للذي كانوا
عليه من الإيمان قبل محمد صلى الله عليه وسلم وبالذي اتبعوا محمدا صلى الله عليه
وسلم . رواهما ابن أبي حاتم .وقد ثبت في الصحيحين ، عن أبي موسى قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين " فذكر منهم : " ورجل من أهل
الكتاب آمن بنبيه وآمن بي " .وقوله : (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) أي : لا يكتمون
ما بأيديهم من العلم ، كما فعله الطائفة المرذولة منهم بل يبذلون ذلك مجانا ، ولهذا قال :
(أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب) قال مجاهد : (سريع الحساب)
يعني : سريع الإحصاء . رواه ابن أبي حاتم وغيره .